لا يستطيع الباحث الذي يريد أن يؤرخ للقصة العراقية ، ويحدد العوامل المؤثرة التي أدت الى نشوئها ، أن يغفل دراسة القرن التاسع عشر في العراق . فهذا القرن شهد بداية النهضة الحديثة ، كما بدت فيه أولى طلائع الاصلاح مع أولى بوادر اليقظة الفكرية (1) . واذا كانت هذه النهضة مضطربة الخطى متعثرة ، بحيث لا يكاد الباحث يلمس تغييرا كبيرا في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية أواخر القرن التاسع عشر ، اذا قيست بما كانت عليه عند أول حلول القرن السادس عشر (٢) ، عندما احتلت الدولة العثمانية العراق . فان ما شهده هذا القرن من محاولات اصلاحية مخلصة (٣)) امتدت الى نواحي متعددة من الحياة ، هو الذي يبرر النشاط الفكري والثقافي الذي ظهر بعد اعلان الدستور عام ١٩٠٨ . فلم يكن هذا النشاط قد انطلق المجرد اعلان الدستور ، لم يكن قادرا على بعث هذا النشاط الفكرى الكبير ، الذى سنلمس بعض ملامحه فيما سيأتي من البحث . اذ لابد من ممهدات تاريخية اصلاحية تهييء الفكر لكي يمارس مثل هذا النشاط . ولكن لابد لنا من الاشارة الى أن هذه المحاولات الاصلاحية أثرت في الأدب تأثيرا كبيرا . 1) الشعر العراقي في القرن التاسع عشر . يوسف عز الدين ص : ١٦ (٢ أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث . لونكريك ص : ٣٢٩ الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ابراهيم الوائلي ص: ٧٠ الشعر والشعراء في العراق : احمد ابو سعد ص : ٥ ٣) بدأت هذه المحاولات المخلصة منذ ولاية سليمان باشا الذي تولى الحكم بين عامى ١٨٠٨ ـ ١٨١٦ ، ثم تابعه من الولاة داود باشا ، ثم مدحت باشا الذي كان له الفضل الأكبر في امتداد هذه الاعمال الاصلاحية إلى جميع نواحي الحياة، اجتماعية واقتصادية وسياسية وثقافية بشكل يمكن للباحث ان يتلمسه بسهولة ، في تطور اساليب التعبير الأدبية . فبعد أن كانت الاساليب الادبية في مستهل القرن ٨:٥٨ بشكل يمكن للباحث ان يتلمسه بسهولة ، في تطور اساليب التعبير الأدبية . فبعد أن كانت الاساليب الأدبية في مستهل القرن التاسع عشر امتدادا لنمط الأساليب التي سادت الأدب خلال الفترة المظلمة ، اتجهت الأساليب الأدبية في نهاية هذا القرن الى محاولة التخفيف من غلواء التكلف الأسلوبي . وأصبح من شأن النشر أن يكون أكثر قدرة على التعبير عن مختلف القضايا الحياتية ، بعد أن نفض عنه اسار السجع وقيود البديع ، واتجه نحو الأسلوب المرسل (4) . وبذلك سجل القرن التاسع عشر بداية لنهضة النشر في العراق. وهذه النهضة النثرية أمر جوهرى لابد منه ، ولقد سارت الاتجاهات الثقافية في القرن التاسع عشر ، بعد أن كان هناك ، قبل هذا القرن ، تيار ثقافي واحد ، يسلك سبيل الثقافة العربية الموروثة ، وينهج نهجها . ودراسة هذه التيارات الثقافية التي يلمسها الباحث في القرن التاسع عشر ، وهذه التيارات الثقافية هي : أولا : تيار تقليدي ، هو امتداد لتيار الفكر العربي القديم ، وثقافته عربية بعيدة عن أساليب التعليم الغربي ، لا أثر للغات الأجنبية فيه . انما هي علوم الدين وعلوم العربية ، يتدارسها الدارسون في المساجد والمدارس المختلفة (٥) ، الذي استحال اليه في عصور تدهور الحضارة العربية ويمثل هذا التيار أكثر أدباء هذا العصر ، ولم يخرج عن اطاره أحد ، ٤) تاريخ الادب العربي في العراق . عباس العزاوي ج ٢ ص : ٢٢٤ (٥) مقالة عن شكرى الفضلي ـ رفائيل بطى ـ مجلة لغة العرب ج ١ سنة ٤ تموز ١٩٢٦ ص : ٢٠ ـ ٤- الا أواخر هذا القرن . تجعله ٨:٥٨ الا أواخر هذا القرن . وطبيعة ثقافة هذا التيار المحافظ ، لما تعرفه عن القصة الحديثة انها انما قامت نتيجة تأثر موصول بالقصة الغربية في مختلف أشكالها (٦) . ولذلك لم يكن متوقعا أن يتعرف أدباؤه على القصة الحديثة ، فيحاولوا أن ينسجوا على منوالها ، أو يقلدوها ، خصوصا في هذه الفترة المبكرة من تاريخ العراق الحديث . أو تناولوها بالدراسة ، حاولوا أن يربطوا بين نشأتها ، وبين المقامة في شكلها العربي الموروث . واذا كان هناك بعض الباحثين قد اعتبر القصة الحديثة في الأدب العربي نتاجا جديدا ، لا تربطه بأدبنا القديم وشائج أو صلات (٧) . فان هناك من وجد في المقامة شكلا بدائيا من أشكال القصة الحديثة ، ولا نريد هنا ، أن تفصل في هذا الأمر ، في هذا البحث لأنه يحتاج الى بحث خاص . وجل ما نريد قوله ان الباحث في نشأة القصة العراقية لابد أن يقف عند هذه المقامات ، لصفات وخصائص معينة أمتازت بها ، جعلت بعض الباحثين يعتبرها أول محاولة في كتابة القصة في الأدب العراقي الحديث . وأول من أعتبر مقامات أبى الثناء الألوسي أول محاولة فقد ذكر في مقدمة مجموعة « رجال وظلال ، لمير بصرى ان . أعظم حدث في القصة ما نهجه الاستاذ أبو الثناء الآلوسي ، وهو التوجيه الاجتماعي في معالجة بعض المشاكل اليومية ، فكان أول من استغل القصة الأدبية للموضوع الاجتماعي كتب قصة أو كما قال سهيل ادريس ص : ٩٥ نفس الصفحة ـــ ه مقامة ، وأضاف في مكان آخر من المقدمة ، ٨:٥٨ نهجه د مقامة ، وأضاف في مكان آخر من المقدمة ، وأعتقد أن أبا الثناء الآلوسي كان الأول في وضع أمثال هذه القصص في العراق فقصته أول قصة تلامس الحياة ولا تسرح في الخيال ، بل هي يومية تعالج بعض مشاكلنا آنئذ (1) . وذكر في كتابه ، ذكرى أبي الثناء ، تهدف الى الاصلاح كما يهدف الغربيون اليوم . فكان باني القصة في العراق . وسار الآخرون على (١٠) ويذهب الى الرأى نفسه ، عبد القادر حسن أمين اذ قال في كتابه ـ القصص في الأدب العراقي الحديث ، ، ، نجد في هذه المقامة نفحات من القصة ، وانطلاقا

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

بسيطا من قيود المقامة (١١) وهو بعد أن يقوم بتلخيصها ، ومما يسترعى النظر في هذه القصة المسجوعة أن حوادثها بغدادية صرفة ذات لون محلى . . للألوسى رسائل أخرى أقل أهمية من رسالة العشق وأبعد من أن تعتبر بواكير القصص العراقي مثل رسالة ، نزهة الشمول في السفر الى اسلامبول ... الخ (١٢) على ان هذا الحذر ينتفى حين يذكر في خاتمة كتابه ، وقد ربطت أوليات هذا الفن بالمقامة الخامسة من مقامات أبي الثناء الآلوسي ، في منتصف القرن التاسع عشر ، عن نهج المقامة المعروف ، فليس ٩) المرجع السابق ص : ١٢ ١٠) ذكرى أبي الثناء الآلوسي ص : ٨٦ ١٢) المرجع السابق ص ٣٦ وعنوان رسالة الألوسي ونشوة الشمول . ـ ٦ ـ فيها بطل ولا راو ، وأنما هي عبارة عن حديث أدبي بليغ يوجه بش 27 فيها بطل ولا راو ، وأنما هي عبارة عن حديث أدبى بليغ يوجه بشكل مباشر، وعلى نحو خطايي . وهي بذلك أقرب الى الرسائل الأدبية منها إلى المقامة (١٤). فالمقامة الأولى عبارة عن مجموعة من الوصايا لابنائه ، والثانية والثالثة والرابعة أرخ فيها لحياته (١٥) . أما الخامسة فهى محاولة طريفة ، خرج بها عن طابع فالزمخشري ألف مقاماته وهي ، تدور كلها على الوعظ ، ،. . والسيوطي صنف مقاماته في العصور الوسطى المتأخرة د وهي أشبه ما تكون بالرسائل فليس فيها بطل ولا راو ، انما هي رسائل مسجوعة . المقامة ـ شوقي ضيف ـ ص : ٨ ـ ١٠ ١٨٥٦ م . يذكر بهجة الاثرى عنها في كتابه ، انها طبعة ناقصة ومغلوطة ص : ٣٢ . وكان الأجدر به أن يفصل في تبيان طبيعة هذا النقص والغلط . وقد سقط في الطبع اسم المقامة الأولى ، ولكن العزاوي يذكر في كتابه ذكرى أبى الثناء الألوسي ، ص : ٨٥ انه و انباء الابناء بأطيب الانباء ، كما لم تشر هذه الطبعة إلى المقامة الخامسة على أنها مقامة أو أي شيء آخر . وفي هذا اشكال يعطى البحث بعض الفروض ، وذلك لما تتميز به هذه المقامة من صفات تجعلها أقرب ما تكون إلى القصص أو الحكايات . وقد ذكر العزاوي في كتابه السابق أن اسمها و سجع القمرية في ربع العمرية ، ص : ٨٦ ولم يشر الى المصدر الذي أعتمد عليه في تثبيت هذا الاسم لها . في الوقت الذي يطلق عليها عبد القادر حسن أمين في كتابه القصص في الادب العراقي الحديث ، ٠ ص : ٣٥ اسم ، رسالة العشق ، بأسلوب يوحى انه واثق من هذه التسمية وان لم يشر أيضا الى المصدر الذي استقى منه هذه التسمية . وقد ورد اسم المقامة الثانية في هذه الطبعة : الأعوال من الأحوال ، ويرى العزاوى انه . الأهوال من الأخوال . والثالثة ، في قطف الزهر من روضة الصبر ، ، والرابعة ، في زجر المغرور وعن رجز الغرور . واحتمال الخطأ والتصحيف في هذه الطبعة وارد . لبدائية الطبع . ولأنها طبعت بعد وفاة مؤلفها بسنتين ٨:٥٨ ، والرابعة ، في زجر المغرور وعن رجز الغرور ، البدائية الطبع ، 28 مقاماته . وهي حكاية أو قصة كما يسميها (١٦) ذات صبغة خيالية . ومصدر طرافة هذه الحكاية أو القصة ، أنها تتميز عن باقي المقامات المعروفة بامرين اولهما : أنه خرج عن اطار المقامة المعروف الى أسلوب قصصي جديد يقص فيه حادثة تامة لها بدايتها ونهايتها . وثانيهما : انه لم يستهدف من كتابتها عرضا من الأغراض التي كانت تكتب من أجله المقامات في الأدب العربي . وانما استهدف غاية أوسع ، وأكثر صلة بالحياة من التعليم أو اظهار المهارة اللغوية (١٧) . ولكن مقامة الآلوسي تلك جاءت تعبيرا عن تجربة يتوفر لها عنصر الصدق والآتية ، مما أضفى عليها نفحة خاصة تشد القارىء اليها . وان كان بعض الباحثين يرى في المقامات القديمة وخاصة مقامات الهمذاني ، أغراضا قصصية بحتة ، هي غرض نقد المجتمع الذي يعيش فيه ، والتعبير عن أزمته وأزمة العلماء في عصر سادت فيه الجهالة وانحطت قيمة العلماء . ولقد وفق أبو الثناء الألوسي في هذه المقامة ، في عرض مضمون يستوفي بعض شروط القصة . ولو توفرت لهذا المضمون يد قاص متمرس في هذا الفن ، لأخرج لنا قصة ناجحة . فأبو الثناء تابع انحدار بطله من ١٦) بدأها بقوله : خليلي ان الحب ما تعرفانه فلا تنكرا ان الحنين من الوجد ، اعلم أيها الخليل الحلى ذو الفضل الجليل انه قد اتفق لي في أمر العشق الغرب قصة . ولعمرى لقد حلت وان مرت وأبقت أعظم غصة. المقامات ص : ٥٤٠ ويلاحظ ان ترقيم صفحات هذه الطبعة من المقامات ، هو ترقيم وضعه أحد الباحثين ، على النسخة الموجودة في مكتبة المتحف العراقي ولم يكن موجودا في الاصل . اعتمادا على هذا الترقيم ٨:٥٨ روضة الصبر ، ، والرابعة ، في زجر المغرور وعن رجز الغرور ، واحتمال الخطأ والتصحيف في هذه الطبعة وارد . البدائية الطبع ، ولأنها طبعت بعد وفاة مؤلفها بسنتين . وهي حكاية أو قصة كما يسميها (١٦) ذات صبغة خيالية . ومصدر طرافة هذه الحكاية أو القصة ، أنها تتميز عن باقي المقامات المعروفة بامرين اولهما : أنه خرج عن اطار المقامة المعروف الى أسلوب قصصي جديد يقص فيه حادثة تامة لها بدايتها ونهايتها . وثانيهما : انه لم يستهدف من كتابتها عرضا من الأغراض التي كانت تكتب من أجله المقامات في الأدب العربي . وانما استهدف غاية أوسع ، وأكثر صلة بالحياة من التعليم أو اظهار المهارة اللغوية (١٧) . مما أضفى عليها نفحة خاصة تشد القارىء اليها . وان كان بعض الباحثين يرى في المقامات القديمة وخاصة مقامات الهمذاني ، أغراضا قصصية بحتة ، هي غرض نقد المجتمع الذي يعيش فيه ، والتعبير عن أزمته وأزمة العلماء في عصر سادت فيه الجهالة وانحطت قيمة العلماء . ولقد وفق أبو الثناء الألوسي في هذه المقامة

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

، في عرض مضمون يستوفي بعض شروط القصة . ولو توفرت لهذا المضمون يد قاص متمرس في هذا الفن ، لأخرج لنا قصة ناجحة . خليلي ان الحب ما تعرفانه اعلم أيها الخليل الحلى ذو الفضل الجليل انه قد اتفق لي في أمر العشق الغرب قصة . ويلاحظ ان ترقيم صفحات هذه الطبعة من المقامات ، هو ترقيم وضعه أحد الباحثين ، وقد أشرنا إلى صفحات هذه المقامة في هذا الهامش ، اعتمادا على هذا الترقيم ١٧) ولم يكن موجودا في الاصل . وقد أشرنا إلى صفحات هذه المقامة في هذا الهامش ، اعتمادا على هذا الترقيم . ١٧) يراجع في غاية المقامات في الأدب العربي كتاب و المقامة ، . للدكتور: شوقي ضيف . ص : ٠٩. 29 حتى انسياقه مع المجون ، الذي نجح الشيخ في اغرائه به . وقد صور مشاعر بطله تصويرا صادقا ينبض بالحرارة . وكان رد الفعل النفسي لموت الشيخ ثم الغلام ، طبيعيا منسجما مع نفسية البطل التي صورها وبذلك استطاع أبو الثناء أن يخلق لنا نموذجا انسانيا سويا يتنفس الحياة . ومن خلال عرضه لأحداث قصته ، استطاع بفنية عالية ، أن يبين رأيه في كثير من الاوضاع الفاسدة في المجتمع العراقي. على أننا ، مع ذلك ، لا يمكننا قبول فكرة أن هذه المحاولة هي أول محاولة كتبت في القصة العراقية الحديثة . فهذه المحاولة في بعض مظاهرها ، انسا هي تعبير عن طبيعة الأدب الذي كان سائدا في زمنها . وهو أدب يسوده التكلف والزخرفة اللفظية المصطنعة ، ويسرف في استخدام البديع استخداما لا جمال فيه ولا فنية (١٨) . ولم يخرج أبو الثناء في نشره عن ذلك . سجع ملتزم ، ومجانسات و مطابقات ملتزمة ، وتشابيه واستعارات ملتزمة كذلك (١٩). وهو بالاضافة الى ذلك ، يكثر من هذه الاستطرادات الأدبية ، ومن التعليق على كل أمر بالشعر ، حتى ليحس المرء أن أبا الثناء الآلوسي يعني ، بتقصى مختلف الشواهد الشعرية المنقولة عن كتب الأدب المعروفة . كما أن كثرة التفاصيل المبعثرة فيها ، دون هدف فني منظم ، تبعد هذه المقامة عن القصة . الى أن القصة في الأدب العربي الحديث ، انما قامت في أهم ما قامت : عليه ، نتيجة للاتصال الحضارى بالغرب . وهي تقليد ، الى حد ما ، لهذا اللون من الأدب الذي كان منتشرا انتشارا كبيرا في أدب الغرب . فاننا لم يقم لدينا دليل على أن العراق في الفترة المبكرة التي كتب ١٨) الشعر السياسي العراقي ـ ص : ١٠٧ ١٩) نهضة العراق الادبية في القرن التاسع عشر . مهدى البصير . ص : ٢٣٢ في فيها أبو الثناء الألوسي مقاماته (٢٠) ، وأنجب من أبنائه من تعرف على الحضارة الغربية بآدابها وفنونها . بل ان العراق و بقى طيلة القرن التاسع عشر بعيدا عن التيارات العربية الحديثة على الرغم من اتصال بعض أدبائه بأدباء سوريا ولبنان ولم يكن يعرف عن العالم الخارجي شيئا عدا ما كان يعرفه بعض السكان عن السياح الأجانب والمقيمين الممثلين للدول الأجنبية في بغداد والبصرة والموصل لذلك كان تأثر العراق بالغرب أقل من تأثر البلدان العربية ، (٢١) الأخرى كمصر وسوريا . ان نجد في محاولة أبي الثناء الألوسي ، ادراكا ووعيا لانشاء قصة ذات لون محلى (٢٢) فالوعي يأتي من تلمس واضح للشيء المزمع انشاؤه ، وهو أمر لم يطف بذهن أبي الثناء الألوسي ، على الاطلاق ، فقد عاش الرجل في بيئة ضيقة منعزلة عن العالم . وهو بحكم ثقافته التي نشأ عليها ، التي ظلت يتدارسها الأدباء بين جدران المساجد ، والمدارس المختلفة ، وكان لها الفضل على اللغة العربية في بقائها وسيلة من وسائل التأليف والنشر والشعر في العراق (٢٣) . رغم ما اعتور العراق بعد سقوط بغداد من محن ونكبات . واذا كانت أية محاولة لاقامة فن من الفنون تقاس بتأثيراتها فيما جد من هذا ٢٠) كتبها سنة ١٢٣٧ هـ أو ١٢٣٦ ١٨٢١ م العزاوي : مقدمة رجال وظلال ص : ١٢ ـ ذكرى ابى الثناء ص : ٨٥ . وما ذهب اليه عبد القادر حسن أمين في كتابه القصص في الأدب العراقي الحديث . ص : ٣٤ . انه كتب مقاماته سنة ١٢٧٣ خطأ واضح . اذ ان هذا التاريخ هو تاريخ طبعها كما ذكر في نهاية طبعة المقامات الحجرية . (٢١) الشعر السياسي العراقي ص : ٦٩ الزهاوى الشاعر ـ اسماعيل أحمد ادهم . ٢٢) القصص في الادب العراقي الحديث . ٢٣) الشعر السياسي العراقي ص : ٩٩ ـ ١٠ ـ الفن بعدها ، العراق30 فيها أبو الثناء الألوسي مقاماته (٢٠) ، قد وثق صلاته بالغرب ، وأنجب من أبنائه من تعرف على الحضارة الغربية بآدابها وفنونها . (٢١) الأخرى كمصر وسوريا . ومن هنا نرى انه لمما يجافي الواقع والحق ، ادراكا ووعيا لانشاء قصة ذات لون محلى (٢٢) فالوعي يأتي من تلمس واضح للشيء المزمع انشاؤه ، وهو أمر لم يطف بذهن أبي الثناء الألوسي ، على الاطلاق ، فقد عاش الرجل في بيئة ضيقة منعزلة عن العالم . كان أقرب الى هذه الالوان الادبية العربية القديمة ، التي ظلت يتدارسها الأدباء بين جدران المساجد ، وكان لها الفضل على اللغة العربية في بقائها وسيلة من وسائل التأليف والنشر والشعر في العراق (٢٣) . رغم ما اعتور العراق بعد سقوط بغداد من محن ونكبات . واذا كانت أية محاولة لاقامة فن من الفنون تقاس بتأثيراتها فيما جد من هذا وما ذهب اليه عبد القادر حسن أمين في كتابه القصص في الأدب العراقي الحديث . ص : ٣٤ . انه كتب مقاماته سنة ١٢٧٣ خطأ واضح . اذ ان هذا التاريخ هو تاريخ طبعها كما ذكر في نهاية طبعة المقامات الحجرية . (ص : ١٦ ٢٢) القصص في الادب العراقي الحديث . ٢٣) الشعر السياسي العراقي ص : ٩٩ ـ ١٠ ـ الفن بعدها ، فان محاولة أبى الثناء الألوسي منقطعة الصلة بالنتاج القصصى العراقي . ولم تعثر على أية

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي

محاولة واعية لانشاء قصة ذات لون محلى ، الا بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ ، مما سنفصله فيما بعد . كما أن محاولة أبي الثناء الآلوسى هذه لم ينظر اليها من المؤرخين المعاصرين له ، أو ممن جاء بعده ، على أنها عمل أدبى غريب . وانما تقبلوها على انها لون مألوف من الأدب ، لم يتفرد بميزات خاصة تميزه عن الانواع الادبية التي عرفوها . وانما هو زعم جاء متأخرا ، عندما اصبح للفن القصصي مكانة في الأدب العربي . وبعد أن اجتاز هذا الفن محن الزراية ، في بداية نشأته . ولعله رأى أملاه التسرع في الحكم ، والجهل بطبيعة القصص الحديث ، ولأغراض لا تتصل كثيراً بما ه 31 عبد القادر حسن أمين في كتابه، القصص في الأدب العراقي الحديث . اذ ان هذا التاريخ هو تاريخ طبعها كما ذكر في نهاية طبعة المقامات الحجرية . ٢١) الشعر السياسي العراقي ص : ٦٩ الزهاوى الشاعر ـ اسماعيل أحمد ادهم . ٢٢) القصص في الادب العراقي الحديث . ص : ٢٠٦ ٢٣) الشعر السياسي العراقي ص : ٩٩ الفن بعدها ، ولم تعثر على أية محاولة واعية لانشاء قصة ذات لون محلى ، الا بعد اعلان الدستور العثماني عام ١٩٠٨ ، كما أن محاولة أبي الثناء الآلوسى هذه لم ينظر اليها من المؤرخين المعاصرين له ، أو ممن جاء بعده ، على أنها عمل أدبى غريب . لم يتفرد بميزات خاصة تميزه عن الانواع الأدبية التي عرفوها . وانما هو زعم جاء متأخرا ، عندما اصبح للفن القصصي مكانة في الأدب العربي . وأصبح كتابه لهم شأنهم في مضمار الأدب . والامتهان التي ووجه بها من قبل الادباء التقليدين ، في بداية نشأته . والجهل بطبيعة القصص الحديث ، الذي قام على أسس فنية، ولأغراض لا تتصل كثيراً بما هو مألوف من قصص وحكايات في الأدب العربي التقليدي . ولم لا نقول عن هذه المقامة» انها حكاية ، بل هي أمتداد له ، أوحتها لمبدعها تجربة حية ، واستهدف منها غرضا معينا هو التحذير من الانزلاق في مهاوي الرذيلة ، والحث على التمسك بأهداف الدين بأسلوب طريف (٢٤) .

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي